شرح

تجريد التوحيد المفيد

تأليف

الإمام العلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي

(٧٦٦ - ٨٤٥ هـ)

لفضيلة الشَّيْخِ الدُّكْتُورِ:

سليمان بن سليم الله الرحيلي

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الدَرْس (١٥)

السَّلامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إله الأولين والآخرين، وأشهد أن محمدًا عبدهُ ورسوله جاءنا بالنور المبين، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

أما بَعْد؛

فأسأل الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن يغفر لشيخنا الشيخ علي ناصر فقيهي ويرحمه، ويجعله منعمًا في قبره، ويجعله من أهل الفردوس الأعلىٰ، معاشر الفضلاء درسنا في فجر السبت في توحيد ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والمؤمن يحب التوحيد، ويحب سماعه، ويحب دروسه، ولا يمل من ذلك، والتوحيد فرده العمر، فينبغي أن يهتم المؤمن بدراسته، وأن يكرر دراسته ما عاش، وألا يقتصر علىٰ درس أو درسين، بل يدرس التوحيد في الكتب المعتبرة، وكلما فرغ من درس اشتاق قلبه إلىٰ درس آخر، وانتقل إلىٰ درس آخر، وإن من الضلالة أن يهون من شأن التوحيد.

وأن يُقَال: إن التوحيد لا يحتاج إلا إلى عشر دقائق، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعا إلى التوحيد من أول لحظة في بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما زال يدعو إلى التوحيد إلى أن مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودرسنا كما تعلمون في شرح كتاب تجريد التوحيد المفيد للإمام أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي المتوفى سنة ثمانمائة وخمس وأربعين من هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكتابه هذا هو أول كتاب جرد في توحيد العبادة، وما يتعلق به فيما نعلم، وقد سبقت بعض الدروس في شرح هذا الكتاب فنواصل شرحه.

[المتن]

قال العلامة أحمد بن علي المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في كتابه تجريد التوحيد المفيد:

وَبِالْجُمْلَةِ فَالْعِبَادَة الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

[الشرح]

لما كان التوحيد هو أن يُعبد الله وحده، وأن تكون العبادة كلها صغيرها وكبيرها وقليلها وكثيرها لله عَزَّ وَجَلَّ لا حظ لمخلوق فيها، لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل، ولا لولي صالح، ولا لشجرة، ولا لحجر، وإنما هي ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولما كان صرف شيء من العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شركًا أكبر ذكر المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هنا المقصود بالعبادة التي هي لله عَزَّ وَجَلَّ وحده، وكل ما ثبت أنه عبادة فهو لله وحده، وكل ما ثبت أنه عبادة فصرفه لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك أكبر، ولذلك إذا ذكرت لمخلوق لإنسان أن هذا التصرف شرك، فقال لك: ما الدليل؟ فقل: الدليل أنه عبادة، والعبادة إنما هي لله وحده، ومن صرف شيئًا من العبادة لغير الله فقد أشرك.

والعبادة قد تكون قولية، وقد تكون عملية، وقد تكون بالجوارح، وقد تكون بالقلوب، وبالجملة فالعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، ولا تكون العبادة عبادة إلا إذا جاء بها الدليل، فالعبادة حق الله لا تثبت إلا بالوحي، لا تثبت بالآراء، ولا تثبت بالأهواء، ولا تثبت بالذوق، وإنما تثبت بالنقل، فالعبادات توقيفية، فليس لأحد أن ينشأ عبادة في أصلها أو في وصفها إلا بدليل نقلي، وإلا كانت بدعة لا عبادة، فالمصنف رَحِمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هنا يُبين العبادة بذكر بعض أنواعها، وإذا علمت كما قلت لك: أنها عبادة فاعلم أن صرفها لغير الله شرك.

[المتن]

وَبِالْجُمْلَةِ فَالْعِبَادَةُ الْمَذْكُورَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هِيَ السُّجُودُ.

[الشرح]

(هِيَ السُّجُودُ)، قد تقدم معنا بيان أن السجود عبادة لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن السجود لغير الله عَزَّ وَجَلَّ شرك.

(وَالتَّوَكُّل)، التوكل عبادة، ولا يكون توكل القلب إلا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ﴿وعلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، حصر للتوكل، والتوكل الباطن لا يكون لمخلوق أبدًا، وإنما كله لله، فلا يعتمد الإنسان بقلبه إلا على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأما إسناد العمل في الظاهر مما يجوز التوكيل فيه إلى المخلوق فهذا وكالة، وهل يجوز أن يقول الإنسان: توكلت على الله ثم عليك؟ التحقيق أنه إن أراد بذلك توكل القلب واعتماد القلب أن هذا لا يجوز، وهذا محل اتفاق، لأن التوكل توكل القلب عبادة قلبية، لا تكون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، أما إن أراد أنه متوكل على الله بقلبه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، متوكل على الله وحده بقلبه، ويسند العمل إلى المخلوق في الظاهر توكيلًا له، فالمعنى صحيح، لكن الجملة ممنوعة، سدًا للذرائع، فلا يجوز أن يقول الإنسان أبدًا: توكلت على الله ثم عليك، وإنما إذا ذكر التوكل يكون على الله فقط، توكلت على الله، وإنما يقول: توكلت على الله ووكلتك في كذا، فالتوكل الذي هو عمل القلب عبادة لله عَزَّ وَجَلَّ، وقلت لك: إذا عرفت أن الشيء عبادة كان صرفه لغير الله شركًا.

قال: (وَالْإِنَابَة)، الإنابة إنما تكون لله عَزَّ وَجَلَّ، لأن الإنابة تسليم القلب، ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤]، فأمر الله عَزَّ وَجَلَّ بأن تكون الإنابة ربنا له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال: (وَالتَّقْوَىٰ)، التقوى عبادة، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

قال: (وَالْخَشْيَة)، الخشية عبادة، ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ [البقرة: ١٥٠].

(وَالتَّوْبَة)، التوبة لله، التوبة بمعناها الشرعي لله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١]، فالتوبة إنما تكون لله عَزَّ وَجَلَّ، وهي عبادة.

قال: (وَالنُّذُور)، النذر عبادة، ولا يكون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، وإنما ينذر الصالحون لله عَزَّ وَجَلَّ، والنذر نوعان: نذر مجازاة ونذر تبرر وتقرب، وأما نذر المجازاة فهو غير مشروع، وأقل درجاته أن يكون مكروهًا، وقال بعض أهل العلم: إنه محرم، إن شفى الله مريضي فلله علي أن أصلي، إن شفى الله مريضي فلله علي أن أتصدق، لكن إن أنعقد النذر بطاعة وجب الوفاء بها، فليس الدخول في نذر الجزاء والمقابلة عبادة، وإنما العبادة فيه الوفاء به، إن دخل العبد فيه وكان بطاعة، وأما نذر التبرر فهو أن ينذر الإنسان لله تقربًا ليس مقابل شيء، لله علي أن أعتكف، لله علي أن أصوم كذا، والدخول فيه لا ينبغي، لأن الإنسان قد يحرج نفسه، فإنه إذا نذر وجب عليه، وأن يبقي الأمر كما شرعه الله مستحبًا خيرًا له، خيرًا له من أن يوقع نفسه في الحرج، وإذا نذر الإنسان طاعة فإنه يجب عليه أن يفي، ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ [مريم: ٢٦]، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه».

قال: (وَالْحَلِف)، الحلف تقدم معنا، وأن الحلف بغير الله يعني شرك أصغر، أن يقول الإنسان: وأبي وأمي والنبي وحياة أمي وحياة أبي، هذا من الشرك الأصغر نعوذ بالله من الشرك كله.

قال: (وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّحْمِيدِ)، الذكر كله ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ عبادة.

قال: (وَالِاسْتِغْفَارِ)، الاستغفار عبادة، ﴿وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾ [هود: ٣].

قال: (وَحَلْقِ الرَّأْسِ خُضُوعًا وَتَعَبُّدًا)، تقدم الكلام عن هذا.

(وَالدُّعَاء)، الدعاء هو العبادة كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يجوز صرف شيء من الدعاء لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، لا إفرادًا ولا تشريكًا، ما يجوز للإنسان أن يدعو أشرف مخلوق وأفضل مخلوق، نبينا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما يجوز أن يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدعو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يجوز أن يدعو الله والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ، بل هذا من الشرك الأكبر، الذي حاربه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والذي يحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأباه، ولا يقع فيه، والشيطان يحمل لبعض الناس ويوهمهم أن دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من باب المحبة، ومن باب تعظيم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نقول: هو تعظيم لكنه لا يليق بمخلوق، ولا يجوز أن يُجعل لمخلوق، وإنما الدعاء لله، فلا تدع مع الله أحدًا، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الدعاء هو العبادة».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (كُلُّ ذَلِكَ مَحْضُ حَقِّ اللهِ - تَعَالَىٰ -)، كل عبادة هي محض حق الله تعالى، والمحض هو الخالص، أي أنه حق لله خالص، لا يجوز صرفه لمخلوق، وإنك لتعجب أيما عجب من أناس يصرفون العبادة لغير الله عَزَّ وَجَلَّ، ويأتون بشبه وتلمسات واهية، وهم يدركون أنهم لو جعلوها لله لكانت صالحة، هذا ما يختلف فيه أحد: أن من دعا الله وحده كان ذلك صالحًا، لكنهم يعرضون عن هذا ويوقعون أنفسهم وغيرهم في الشرك بالشبهات، ويتلمسون ويأتيان إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ الشبهة الكبيرة التي توقع كثيرًا من الناس في الشرك، وهو أن ما نعبدهم ولكننا نتقرب بهم، وسنرد على هذه الشبهة ونُبين تهافتها وسقوطها، وأنها هي عين شبهة المشركين الأولين الذين حاربهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

[المتن]

وَفِي مُسْنَدِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ: إِنْ رَجُلًا أَتَىٰ بِهِ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ اٰلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ وَلَا أَتُوبُ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَقَالَ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ». وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ عَنْ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ وَقَالَ: "حَدِيثٌ صَحِيحٌ".

[الشرح]

هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند، ورواه الحاكم وصححه، لكن الذهبي خالفه وضعف الحديث، والحديث ضعيف وفيه انقطاع بين الحسن والأسود، لكن المعنى صحيح، التوبة إنما هي لله، ما يتوب العبد من ذنبه لأحد من الناس، لا لشيخ، ولا لمعظم ولا لغير

ذلك، ما يأتي من انحرف مثلًا في أصل إلى الشيخ ويقول: أتوب إلى الله وإليك، أو أتوب إلى الله ثم إليك، بل حتى ما يجعل ذلك في قلبه، بعض الناس إذا أخطأ خطئًا وتكلم فيه شيخ من الشيوخ وبين خطئه وحذر منه، جاء إلى الشيخ وقال: أتوب إلى الله وإليك، أتوب إلى ا لله ثم إليك، التوبة من الذنب إنما هي لله، أو يجعل في قلبه هذا يتوب والحقيقة أنه يتوب لله وللشيخ.

وهذا انحراف، والتوبة عبادة، فصرفها لغير الله شرك، التوبة من الذنب، وإنما تكون لله عَزَّ وَجَلَّ، لكن هذا الحديث المذكور ضعيف من جهة إسناده.

[المتن]

وَأَمَّا الشِّرْكُ فِي الْإِرَادَات وَالنِّيَّات: فَذَلِك الْبَحْرِ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ، فَمَنْ نَوَىٰ بِعَمَلِهِ غَيْرَ وَجْهِ اللهِ - تَعَالَىٰ - فَلَمْ يَقُمْ بِحَقِيقَةِ قَوْلِهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

[الشرح]

قدم المصنف سابقًا أن الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ قد يكون في الأفعال، وبين ذلك وشرحناه، وقد يكون في الأقوال، وبين ذلك وشرحناه، وقد يكون في الإرادات، ويُبين ذلك هنا، فالمصنف هنا يُبين أن الشرك بالله قد يتعلق بالإرادات والمقاصد، فللإرادات شرك، وهذا الشرك له صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون بإرادة مدح الناس بالعمل الصالح.

والصورة الثانية: أن يكون بإرادة عرض من أعراض الدنيا ومصالح الدنيا وشهوات الدنيا بالعمل الصالح.

أما الأول وهو إرادة مدح الناس بالعمل الصالح فهذا هو الرياء، وهو إزهار العمل الصالح أمام الناس طلبًا وإرادة لمدحهم، أن يظهر الإنسان عمله الصالح أو أن يظهر فيه صفة كخشوع في الصلاة أمام الناس ليمدحه الناس، ليقولوا: هو من البكاءين، ليقول الناس: إنه من أهل الخشوع، فهو يريد مدح الناس، ومنه أيضًا التسميع، والتسميع هو أن يسمع الإنسان الناس عمله الصالح، أثناء العمل كأن يكون يقوم الليل في غرفته، ويرفع

صوته بالقراءة ليعرف زملائه في الغرفة الثانية أنه يقوم الليل من أجل أن يمدحوه، لا من أجل أن يشجعهم على قيام الليل، لو أراد أن يشجعهم على قيام الليل هذه إرادة حسنة، لكن هو كان لوحده في الغرفة وزملائه في الغرفة الأخرى، هم ما يرونه وهو يقوم الليل، يريد أن يعرفوا أنه يقوم الليل ليمدحوه، أو يذكروه عند الشيخ حتى يزكيه، فيرفع صوته بالقراءة، هذا تسميع أثناء العمل.

ومنه أيضًا: أن يعمل العمل في خلوة، وهو يريد أن يسمع الناس به لاحقًا، يعمل العمل في خلوة في غرفته، لكنه في قلبه أثناء العمل أنه غدًا سيحدث زملائه إما تصريحًا، فيقول: أمس قمت الليل، وفتح الله علي، من أجل أن يُمدح، أو تلميحًا، يقول: البارح ونحن نصلي سمعنا صوتًا عجيبًا، يُريد أن يُعلمهم أنه كان يصلي، من أجل أن يمدحوه، هذا تسميع وهو نوع من الرياء في الحقيقة لأنه لا يظهر عمله بذاته، لكنه يظهره للناس بقوله، بكلامه من أجل مدح الناس، وهذا الرياء إن غلب على أعمال الإنسان حتى كان لا يذكر الله في جميع أعماله إلا قليلًا لا يصدر من مؤمن، ولا يجامع الإيمان، بل ينافي الإيمان، ويذاد الإيمان، وإنما يجامع النفاق، وهو من صفات المنافقين، وهو يقع في الأصول والفروع، المنافق يظهر شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لا لله وإنما للناس، وإلا ما في قلبه إيمان، ويصلي مع الناس لا لله، وإنما من أجل الناس، وهذا شرك أكبر يضاد الإيمان، ولا يكون من مؤمن أبدًا، وإنما يكون من المنافقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢)﴾ [النساء: ١٤٢].

فالذي يعمل أعماله كلها أو أغلبها مرايًا ولا يذكر الله فيها إلا قليلًا هذا مشرك شركًا أكبر، وهو في الحقيقة لأنه يقول الشهادتين ويشرك بقلبه هذا نفاق، وأما إذا كان الرياء لا يغلب على عمل الإنسان بل يقع في بعض عمل الإنسان مع عدم خلوص العمل للرياء، أحيانًا يصلي، يصلي لله، لكن يقع في الرياء، دخل المسجد وهو يريد أن يصلي، لكن لما دخل المسجد رأى الشيخ، وهو يريد منه تزكية، أو يريد أن يشفع له شفاعة، فلما رآه صلى متخشعًا

ينظر إلى موضع سجوده، يحافظ على السنة، يلحظه الشيخ، هذا يسمى عند العلماء بيسير الرياء، ما هو ضابط يسير الرياء؟ الذي لا يغلب على الإنسان وإنما يقع منه أحيانًا، قع في العمل أحيانًا مع عدم خلوص العمل للرياء، وهذا أعني يسير الرياء يقع كثيرًا من المسلم، وقل أن يسلم منه أحد إلا من جاهد نفسه وأعانه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو كما قال المصنف: (الْبَحْرِ الَّذِي لَا سَاحِلَ لَهُ، وَقَلَّ مَنْ يَنْجُو مِنْهُ)، إلا من جاهد نفسه وأعانه الله عَزَّ وَجَلَّ على ذلك.

وهذا هو شرك السرائر، وهو شرك خفي يدب إلى الإنسان دبيبًا، وهو شرك في داخل القلب فهو خفي، وهو شرك أصغر، وهو محرم تحريمًا شديدًا، ويجب على المسلم أن يحذره، أن يكون دائم الحذر منه، لأن الرياء خفي، ويدب دبيبًا إلى العمل فينبغي على الإنسان أن يكون حذرًا دائمًا منه عند عباداته، وأن يجاهد نفسه في دفع الرياء، ومن وقع منه الرياء السير ومات عليه ولم يتب منه فإنه متوعد بوعيد شديد يوم القيامة، فعن محمود بن لبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يا أيها الناس إياكم وشرك السرائر»، «يا أيها الناس إياكم» احذركم شرك السرائر، قالوا: يا رسول الله وما شرك السرائر؟ قال: «يقوم الرجل فيزين صلاته جاهداً لما يرى من نظر الناس إليه فذاك شرك السرائر» رواه ابن خزيمة والبيهقي وحسنه الألباني، حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه وبينه، وبينه بالمثال وليس الحصر، أن يقوم الإنسان يصلي فيرى نظر الناس إليه، ولا سيما من يعظمهم، فيزين صلاته ويزيد في زينها رجاء مدح الناس، وحمد الناس له.

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرج علينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نتذاكر المسيح الدجال، فقال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعظم فتنة المسيح الدجال، ويأمر بالتعوذ من فتنة المسيح الدجال، لكنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟» قال: قلنا بلى يا رسول الله، فقال: «الشرك الخفي؛ أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته

لما يرى من نظر الرجل» رواه ابن ماجه وحسنه الألباني، وعند أحمد والحاكم: «أن يقوم الرجل بعمل لمكان الرجل»، لمكان الرجل يعني من أجل مكان الرجل، من أجل نظر الرجل، من أجل تعظيم الرجل في نفسه يريد أن يمدحه، وأن يثني عليه.

والحاكم قال عن هذا الحديث: إنه صحيح، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني رحم الله الجميع، وعن محمود بن لبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عَزَّ وجلَّ لهم يوم القيامة: إذا جزى الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»، رواه أحمد وصححه الألباني، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر؟ فذكر نوعًا منه، سماه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الشرك الأصغر وهو الرياء، وبيّن شيئًا من جزاء المرائين الذين يموتون على الرياء يوم القيامة، وهو أن الله عَزَّ وَجَلَّ يجازي الناس بأعمالهم الصالحة، ثم يقول للمرائين: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤونهم في الدنيا هل تجدون عندهم جزاء، أي لا جزاء لكم عندي من جهة الثواب، لكن انظروا اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤونهم وتنظرون إليهم في الدنيا هل تجدون عندهم جزاء؟ هل تجدون عندهم ثوابًا؟ ولن يجدوا، فلا جزاء لهم من جهة الثواب من الله عَزَّ وَجَلَّ، وإنما هم متوعدون بالعقاب، بعقاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به» رواه مسلم في الصحيح، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قام مقام رياء وسمعة راءى الله به يوم القيامة وسمع» رواه أحمد والبخاري في الأدب المفرد وصححه الألباني، فمن يرائي في الدنيا يفضحه الله يوم القيامة في العرصات، كان يشرك شركًا أصغر في الخفاء في قلبه، وإلا في الظاهر أنه رجل صالح، فيجازيه الله يوم القيامة بأن يفضحه على رؤوس الخلائق، يظهر الله للخلائق ريائه يوم القيامة، ومن سمع بالصورتين المذكورتين سابقًا سمع الله به يوم القيامة، وفضحه بالقول يوم القيامة، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محذرًا من الرياء ببيان

سوء العاقبة، قال: «إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد» أي فيما يرى الناس أنه قاتل في سبيل الله حتى قتل فاستشهد، فأُتي به فعرفه نعمه، قال: فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى قتلت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يقال: جريء، كنت ترائي الناس تقاتل حتى تمدح، ويقال جريء، ويقال: شجاع، وما أكثر الذين يراؤون الناس بدين الله اليوم في وسائل التواصل الاجتماعي، يريدون أن يقول الناس: إنهم جرئاء وشجعان ولا يخافون في الله لومة لائم.

إذا كان يا إخوة الذي عمل عملًا صالحًا قاتل في سبيل الله، لكنه أراد أن يُمدح بأن يقال: إنه جريء كان في هذا المقام يقال له: كذبت، وإنما قاتلت ليقال: جريء وقد قيل، ثم أُمر به فسحب على وجهه حتى أُلقي في النار، إذا كان هذا كهذا فما بالك بهؤلاء الذين في وسائل التواصل الاجتماعي الذين يظهرون خلاف شرع الله بسب الحكام، وإدخال أنفسهم فيما ليس لهم، والافتئات على من جعل الله الأمر إليه، ليكتسبوا عواطف الناس وليقول للناس: إنهم شجعان، وأنهم لا يخافون في الله لومة لائم، لا شك أنهم أخبث من هذا، لأنهم يراؤون بعمل فاسد، يخادعون به الناس، ويتلاعبون به بعواطف الناس، قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ورجل تعلم العلم وعلمه، وقرأ القرآن»، ينبغي على طلاب العلم إذا سمعوا هذا الحديث أن يحضروا قلوبهم وأن يعوا ما فيه، وأن توجل قلوبهم وجلًا شديدًا، وأن يخافوا الله عَزَّ وَجَلَّ، «ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن»، قال: «فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها»، أي نعمه التي تيسر بها العلم، يسرت لك الذهاب إلى المدينة، والجلوس بين أيدي المشايخ، وكذا وكذا، فيعرف النعم.

قال: «فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته»، أي تعلمت العلم لك وعلمته لك، «وقرأت فيك القرآن»، تلوت القرآن فيك، قال: «كذبت»، نعوذ بالله من الفضيحة وسوء الحال، قال: «كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»، ما نفعه قول الناس إنه عالم، إنه علامة، إنه

الشيخ، لما كان مراده من تعلم العلم أن يُمدح وأن يثنى عليه، وأن يلقب بالألقاب حصل هذا في الدنيا والدنيا بكل ما فيها زائلة، لكنه عند لقاء الله يلقى هذا المصير، يؤمر به فيسحب على وجهه سحبًا، حتى يلقى في النار، من تعلم العلم غير مخلص، متوعد بأن يلقى في النار قبل عباد الوثن، وهذا يا إخوة يجعلنا نخاف الرياء في تعلم العلم وتعليمه خوفًا شديدًا، ونجاهد أنفسنا على ذلك ما منا إلا لكنها المجاهدة، وطلب عون الله عَزَّ وَجَلَّ حتى يذهب الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك.

حتى لا يكون الخسار يوم القيامة عند لقاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال: «ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت»، ولكنك فعلت نعم، أنت أنفقت المال في وجوه الخير، «ولكنك فعلت ليقال: هو جواد وقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار» رواه مسلم.

إذًا يا إخوة الرياء من جهة وصفه بكونه شركًا وكل الرياء شرك، لكن هل يوصف بكونه شركًا أكبر أو بكونه شركًا أصغر له صور ثلاث:

الصورة الأولى: أن يغلب على عمل الإنسان حتى لا يذكر الله في أعماله إلا قليلًا، وهذا شرك أكبر، شرك بالقلب أكبر، يخرج من ملة الإسلام، ولا يجامع الإسلام، أي لا يجتمع مع الإسلام أبدًا، وهذا هو حال المنافقين.

الحال الثانية: أن يوجد الرياء في العمل الصالح محضًا، ما معنى هذا؟ أن يصلي الإنسان صلاة واحدة لا يريد بها وجه الله، وإنما يريد الرياء، يريد المدح من التكبير إلى التسليم، ما أراد وجه الله بهذه الصلاة أبدًا، وإنما أراد المدح، أراد الثناء، أراد التزكية، وهذه قد اختلف فيها العلماء، فذهب بعض أهل العلم إلى أنها لا تقع من مسلم، وأنها شرك أكبر، ما دام أنه عمل العمل الصالح لا يريد به وجه الله وإنما يريد به مدح الناس فهذا كمن عمل العمل الصالح لغير الله، شرك أكبر، من سجد لغير الله ولو سجدة واحدة هذا شرك أكبر، يقولون: فكذلك إذا وجد هذا في العمل فما كان عمل الإنسان إلا للرياء، لا يوجد فيه إرادة

وجه الله، وذهب بعض العلماء إلى أن هذا من الشرك الأصغر، ما دام أنه لم يغلب على أعمال الإنسان، ولا شك أن المقام خطير، وهو أولى بالحذر من يسير الرياء، أن يطلب الإنسان العلم لا يريد وجه الله، وإنما يريد المدح والثناء، وطلب العلم عبادة، هذا بعض أهل العلم يقول: هذا شرك أكبر، وبعض أهل العلم يقول: شرك أصغر، والمقام خطير جدًا.

فينبغي الحذر من هذه الصورة حذرًا شديدًا أشد من الحذر من الرياء اليسير.

والصورة الثالثة: يسير الرياء، بأن لا يغلب الرياء على أعمال الإنسان ولا يكون الرياء خالصًا في العمل، بل يريد الإنسان وجه الله والرياء، هذا يسير الرياء، لا يغلب على أعمال الإنسان بل يقع في بعضها أحيانًا، ولا يخلص العمل للرياء، بل هو يصلي لله ويريد ثناء الناس، هذا يسير الرياء وهو شرك أصغر، إذا عرفنا هذه الصور الثلاث نضبط متى يكون الرياء شركًا أكبر ومتى يكون الرياء شركًا أصغر، هذا من جهة حكمه هل هو شرك أكبر أو أصغر وإلا فهو شرك بلا شك، حيث ما وجد الرياء فهو شرك، لكن هل يوصف بكونه أكبر أو أصغر هذا التفصيل، ثم إن هناك مقامًا آخر وهو مقام أثر الرياء في العمل، هل يبطل الرياء العمل أولا يبطل العمل؟ إذ المعلوم أن العمل لا بد أن يكون خالصًا لله عَزَّ وَجَلَّ، وأن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا لله، «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه**» رواه النسائي، وجود إسناده الحافظ بن حجر، وصححه الألباني رحم الله الجميع، هذه قاعدة: «**إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا، وابتغي به وجهه**».

والرياء لا يكون العمل معه خالصًا لله عَزَّ وَجَلَّ، والصالحون يحرصون حرصًا شديدًا على أن يكون عملهم لله خالصًا، وعلى تجريد المتابعة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأن العمل لا يقبل إلا إذا اتصف بهذين الوصفين أو هذين الركنين، والصالحون من اجتهادهم في ذلك يدعون دائمًا بأن يجعل الله عملهم صالحًا أي على سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولله خالصًا، اللّٰهم اجعل عملي صالحًا ولوجهك خالصًا ولا تجعل لأحد فيه شيئًا، هذا من دعاء الصالحين، وقد رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه

الإمام أحمد في الزهد عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لكن إذا وقع الرياء في العمل فهل يبطله أو لا يبطله؟ هل ينقص أجره أو لا ينقص أجره؟ لهذا صور عند أهل العلم، نذكرها إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ في الدرس القادم، ونُبين التحقيق في أثر هذه الصور في عمل الإنسان من جهة الإبطال وعدم الإبطال، ومثل الرياء التسميع فالحكم واحد، ونُبين الفرق بين أن يكون الرياء مصاحبًا للعمل وبين أن يكون الرياء لاحقًا للعمل بعد الفراغ منه، ثم نتكلم بعد ذلك إن شاء الله عن النوع الثاني وهو: إرادة الإنسان بعمله الدنيا من جهة وصفه بكونه شركًا أكبر أو أصغر، وإلا فكله شرك، لكن هل يوصف بكونه شركًا أكبر أو أصغر، ومن جهة أثره في بطلان العمل وعدمه.

لعلنا نقف عند هذه النقطة، ونُكمل ما يتعلق بهذا الأمر العظيم وهو الشرك في الإرادات والقصود في يوم السبت القادم إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ بعد الفجر، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يرزقني وإياكم الإخلاص في القول والعمل، وأن يعيذني وإياكم من الرياء كله، وأن يجعلني وإياكم من الذين يأتون الله عَزَّ وَجَلَّ بقلوب سليمة، قد سلمت لربها وسلمت لربها، أسأل ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يعيننا على أنفسنا والشياطين، وأن يعيذنا من الرياء كله ومن وساوس شياطين الإنس والجن، وأن يجعل ما بقي من أعمارنا زيادة في الأعمال الصالحة، وسببًا لاكتساب رضاه، وفرصة للتوبة من الذنوب الماضية، أسأل ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي أنعم علينا فأبقانا أن يجعلنا من أحسن الناس الذي طالت أعمارهم وحسنت أعمالهم، وأعوذ بالله عَزَّ وَجَلَّ أن نكون من أسوء الناس الذي طالت أعمارهم وساءت أعمالهم، أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن يجعل خير أعمارنا أواخرها، وأن يختم لنا جميعًا بخاتمة حسنة، ونعوذ بالله من عمل السوء وخاتمة السوء، والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.